مجلة الدراسات التربوية والعلمية - كلية التربية - الجامعة العراقية
العدد الرابع والعشرون - المجلد الثاني - التاريخ - أيلول 2024 م
doi.org/10.52866/esj.2023.02.24.12

دور الاوقاف
في ادارة الازمات الاجتماعية في الاندلس (250 - 399هـ)

عبدالرحمن حامد حسين الزوبعي ، أ.د. محمد كريم الجميلي
الجامعة العراقية / كلية التربية - قسم التاريخ

مستخلص:

تعد الاوقاف من اهم المؤسسات الخيرية التي كان لها دور كبير في ادارة الازمات الاجتماعية، اذ كثرت الاوقاف في الاندلس وتعددت فمنها اراضي وبساتين ودور واشجار وغيرها ، وكذلك تنوعت اوجه صرفها ، اذ كانت تعطى غلاتها للفقراء والمساكين والمحتاجين والايتام ، حتى اصبحت احدى مصادر الدخل الاساسية لتلك الفئات في المجتمع الاندلسي .

الكلمات المفتاحية: الاندلس ، ادارة الازمات ، الاوقاف ، الازمات الاجتماعية .

Abed alrahman Hamid Husain alzobay
Prof DR Mohammad karim AL jumaily
Al-lraqia University-Education colleg

Abstract :

Endowments are considered one of the most important charitable institutions that played a major role in managing social crises endowments in Andalusia were numerous including lands orchards houses trees and others likewise their means of spending varied as their proceeds were given to the poor the needy and orphans until they became one of the basic sources of income for those groups in Andalusia society

Keywords: Andalusia “ crisis “ management “ endowments “ social crises

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الانبياء المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين ...

تعتبر الاوقاف من اهم المؤسسات في المجتمع الاسلامي التي ساهمت في ادارة الازمات الاجتماعية، ففي بلاد الاندلس كثرت الاوقاف وتعددت اوجه صرفها، اذ شملت العديد من الفئات الاجتماعية المتدنية التي حددتها الشريعة الاسلامية لضمان التكافل الاجتماعي في المجتمع الاسلامي وتوفير سبل العيش لتلك الفئات، لذلك يجب علينا التعرف على مدى اهتمام السلطة الاموية في الاندلس بالأوقاف وما هي اهم الاموال الموقوفة فيها ومن هم المسؤولون عن تصريفها والاشراف عليها .

المبحث الاول

دور الأوقاف في معالجة الأزمات الاجتماعية

- تعريف الوقف لغةً واصطلاحاً

1. الوقف في اللغة:

هو الحبس والمنع، ويعبر عنه أحياناً بالوقف وأحياناً بالحبس، وهو كل شئ جعل صاحبه وقفاً محرماً لا يورث ولا يوهب ولا يباع[1].

2. الوقف اصطلاحاً:

هو أن يتصدق الإنسان المالك لأمره بما شاء من ريعه ونخله وكرمه وسائر عقاره لتجري غلات ذلك وخراجه ومنافعه في السبيل الذي سبلها فيها مما يقرب إلى الله عز وجل، ويكون الأصل موقوفاً لا يباع ولا يوهب ولا يورث أبدا ما بقي شئ منه[2].

وقد حثّ القرآن الكريم على الإحسان والبر والإنفاق وأعمال الخير والوقف إحدى هذه الصدقات، ولم يرد نص صريح عن الوقف، إلّا أنّ فكرة الإنفاق وعمل الخير والبر هي إشارات عن ذلك فقد ورد في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿**لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ**﴾[3] وقوله تعالى: ﴿**إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ**﴾[4].

وقد ورد الوقف في السنة النبوية ما روي أنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه أتي النبي محمد ﷺ فقال: يا رسول الله إني أصبتُ أرضاً بخيبر لم أصب مالاً قط أحسنَ منها فما تأمرني؟ قال: (إنْ شئتَ حبَسْت أصلها وتصدّقت بها)[5].

وفي ذلك حثّ على الأوقاف الخيرية، لأنها كانت من أنفس الأموال التي امتلكها، فيتقرّب بها إلى الله تعالى بإنفاق ريعها على الفقراء والمحتاجين.

وقد أولى الأمراء الأندلسيون الأوقاف عناية خاصة، لما تقدمه من خدمات اجتماعية في بلاد الأندلس، بالإنفاق على الفقراء والمساكين والمرضى والأيتام وغيرهم من فئات المجتمع الفقيرة، حيث ساهمت هذه الأوقاف في معالجة الفقر وتخفيفه عن هذه الفئات وتحسين مستواهم المعيشي وتوفير ما يحتاجون إليه من احتياجاتهم الأساسية كالمأكل والملبس والمسكن[6].

كذلك حرص الأمراء والخفاء الأندلسيون على اختيار رجال أكفّاء للإشراف على الأوقاف، فكان

(1) ابن منظور، لسان العرب، ج6، ص45.

(2) ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله، (ت:463هـ/ 1070م)، الكافي في فقه أهل المدينة المالكي ، ط3، 2002م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص 536.

(3) سورة آل عمران، آية- 92.

(4) سورة التغابن، آية- 17.

(5) البخاري، صحيح البخاري، ج6، ص2466، رقم الحديث 2620.

(6) القري، محمد بن علي، مقدمة في أصول الاقتصاد الإسلامي، ط3، 1999م، دار حافظ للنشر، ص 155.

قاضي الجماعة يُقلّد أهل الكفاءة على هذه المهمة، ولا يختار إلاّ من كان من أهل العلم والفقه[1].

فقد شهد عند القاضي أحمد بن محمد بن صالح المعافى[2] سنة (255هـ/ 869م) أنّ رجلاً حبس داراً بقرطبة وجعلها وقفاً في سبيل الله[3]، وذلك يدل على أن الأوقاف كانت توقف بشهادة القاضي أو من ينوب عنه، لأنّ القضاة كانوا هم المسئولين عن تصريف أمور الأحباس وهم من يوكلون عنهم بهذه المهمة ممن يجدونه أهلاً لذلك.

وهناك العديد من أحباس الأراضي الزراعية الموقوفة على الفقراء والمحتاجين، وكان أصحاب هذه الأراضي يستخدمون ريعها لشراء الحاجات الأساسية للفقراء والمحتاجين كالكسوة والخبز، فذُكر أن هناك أرض من بلش[4] حبست على الفقراء، وأوصى الواقف بأن تكون أرضه وقفاً على الفقراء والمساكين بعد وفاته، ليؤخذ ريعه كل عام ويُشترى به خبزاً ويفرق على الضعفاء والمساكين في شهر رمضان[5].

ولم يشترط في الوقف أن يكون أرضاً أو عقاراً، بل يستطيع أن يوقف ولو شئ يسير بحسب ما يستطيع الواقف وقفه، وذُكر أن رجلاً من بلش أوقف شجرة توت، بأن تكون فائدتها في أوجه الخير للفقراء والمحتاجين[6].

وقد كثرت الأحباس في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر (350-300هـ/ 961-912م) وذلك لما أولتها الدولة في عهده من اهتمام في هذه الأمور، لأنها تساهم في معالجة المشاكل الاجتماعية في البلاد كالفقر والحاجة، وبذلك اهتمت الدولة بأراضي الأوقاف وأنشأت لها إدارة خاصة بها ضمتها الى القضاء، فكانت بعض الأموال الناتجة عن الأحباس توزع على الفقراء والمساكين والمحتاجين في عدة أوقات معلومة ومنتظمة من السنة، ويعود الفضل في ذلك الى القاضي أسلم بن عبد العزيز[7] سنة (317هـ/ 929م) الذي كثرت الأحباس في عهده وتنامت أموالهم[8].

وقد أباح علماء الأندلس بيع الحبس واستبداله بما هو أعود بالمنفعة، حيث كانوا يبيعون الدواب أذا ضعفت ويستبدلونها بأحسن منها، ويبيعون الثياب إذا أبليت ويشترون غيرها لأن منفعتها قد ذهبت[9].

وإذا تهدمت بعض العقارات الموقوفة كالدور والفنادق والحمامات فيجوز بيع الأنقاض وتخصيص جزء من ريعها للإنفاق على ترميم الوقف لتدوم فائدتها ويزيد نفعها، إذ تتزايد غلّتها عاماً بعد عام

---

(1) الخشني، قضاة قرطبة، ص 126.

(2) لم أجد له ترجمة.

(3) ابن سهل، أبو الأصبغ عيسى بن سهل الأندلسي، (ت: 486هـ/ 1073م)، وثائق في أحكام قضاة أهل الذمة في الأندلس، تحقيق: محمد عبد الوهاب خلاف، (د.ط)، 1983م، الكويت، ص 12-11.

(4) وهي منطقة تقع في غرناطة، مما يلي المنكب من جهة الغرب، ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى، ج5، ص 218.

(5) الونشريني، المعيار، ج4، ص182.

(6) الخشني، قضاة قرطبة، ج7، ص123.

(7) هو اسلم بن عبد العزيز بن هاشم بن خالد بن عبد الله بن الحسن، يرجع نسبه الى عثمان بن عفان ﷺ ويكنى ابن الجعد، وهو من أهل قرطبة، ولاه الخليفة الناصر القضاء فيها، توفي سنة(31هـ) ينظر، ابن الفرضي، تاريخ العلماء، ج1، ص 105.

(8) البكر، خالد، النشاط الاقتصادي في الأندلس في عهد الإمارة، ط1، 1993م، الرياض، ص 118-117.

(9) ابن قدامة، موفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد، (ت:620هـ/ 1223م)، المقنع في فقه الإمام احمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: محمود الأرناؤوط، وياسين محمود، ط1، مكتبة السوادي، جدة ، ص200.

بعد أن تقام منها مصالح أملاك الوقف[1].

ومن القضاة الذين أحسنوا السيرة في الأوقاف وحسن تدبير أمورها في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر (350-300هـ/ 961-912م) القاضي أبو عيسى بن عبد الله الذي انفرد بالقضاء والنظر في الأحباس، وكان جليل القدر من أهل العلم والثقه، عالي الدرجة في الحديث، حمد الناس أحكامه وجميع أحواله، وكان كريماً كثير الإطعام للفراء والمحتاجين، توفي سنة (364هـ/ 957م).[2]

وبذلك كانت الأوقاف تحتل مكانة في نفوس الأندلسيون، حيث كانوا يعظمون شأنها ويعرفون قدر حرمتها، والدليل على ذلك الاهتمام الكبير بها من قبل الأمراء والخلفاء في الأندلس، وجعلها تحت تدبير وإشراف القضاء والفقهاء والأمناء الذين كانوا من أهل العلم في أحكامها وتصريفاتها.

وقام الخليفة الحكم المستنصر (366-350هـ/ 976-961م) ببناء دار الصدقة في جامعة قرطبة، وبعد أن وسع الجامع قام بحبس بعض الأحباس بأن أحضر الفقهاء وأعيان الناس والقضاة وأشهدهم بأنه حبس ريع الأحباس التي ورثها عن أبيه الناصر جميعها في جميع كور الأندلس وأقاليمها على جميع ضعفاء المسلمين، في قرطبة وفي الثغور الأندلسية[3].

ومما يدل على اهتمام الأمراء بالأوقاف عندما أمر الخليفة الحكم المستنصر قاضي قضاة قرطبة ابن السليم (ت:367هـ/ 977م) بأن يجدد الكشف والامتحان عن أموال الناس والأحباس وأموال اليتامى، فينظر فيها ويقف عندها ويتفقد أحوالها، وكان ذلك من اختصاص القاضي في الأندلس[4].

وقام الخليفة الحكم المستنصر بإنشاء مدارس لتعليم أبناء الفقراء ومن لا يمتلكون نفقات التعليم، وأوقف عليهم أوقاف لصرفها على هؤلاء الطلاب ومعلميهم، وبذلك تمكن من تعليم أبناء الفقراء والمحتاجين، وأقبل الناس بكثرة على تعليم أبنائهم، لأن ذلك يعدّ عامل تشجيع لهم[5].

فساهم الوقف مساهمة كبيرة بالأندلس في خدمة الفئات الفقيرة والمحتاجة في المجتمع الأندلسي، حيث أصبحت مصادر دخل لهذه الفئات لأن الأموال الوقفية كانت تُصرف على اليتامى والمساكين والمحتاجين والمرضى، وبذلك خففت أموال الأوقاف من الأزمات التي مر بها المجتمع الأندلسي[6].

ومن أحباس الأمراء أيضاً ما قام به الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر(ت:392هـ/ 1002م) بتحبيس وقف على ابنتيه وزوجته وعلى ذريتهم من بعدها وتسبيل منفعته في سبيل الله[7].

يتضح لنا مما سبق أن الأوقاف في الأندلس كان لها دور كبير في معالجة الأزمات الاجتماعية، لأنها كانت مصادر دخل للفقراء والمساكين والمحتاجين واليتامى والمرضى، فخففت أعباء المعاش على هذه الفئات، واهتم الأمراء والفقهاء في الأندلس

(1) ابن قدامة، المقنع، ص239-238م.

(2) القاضي عياض، أبو الفضل عياض بن موسى، (ت: 544هـ/ 1149م)، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، ط1، 1998م، دار الكتب العلمية، بيروت، ص 90.

(3) أبو مصطفى، كمال السيد، بحوث في تاريخ وحضارة الأندلس، ط1، 1977م، مركز الاسكندرية للكتاب، القاهرة، ص 223.

(4) أبو مصطفى، بحوث في تاريخ وحضارة الأندلس، ص 225.

(5) ابن عذاري، البيان والمغرب، ج2، ص 240.

(6) ابن حيان، المقتبس، ص210.

(7) الونشريني، المعيار، ج7، ص 412.

اهتماماً كبيراً بالأوقاف وجعلوها تحت رقابتهم، ولم يولوا عليها إلاّ من القضاة والفقهاء الأكفاء من أهل العلم للتصرف بشؤونها وفق أحكام الشريعة الإسلامية، وإنفاقها على وجهها الصحيح، ويبدو أن مصادر الأوقاف تعددت في الأندلس، ولم تقتصر على العقار فحسب، بل تعدت إلى الأموال المنقولة، بحيث كان الواقف يستطيع أن يوقف ما يشاء من أمواله سواء كانت أراضي أو دور أو بساتين أو دواب أو حتى شجرة واحدة، كما ذكرنا آنفاً.

الخاتمة

1. اولى الامراء الاندلسيون عناية خاصة بالأوقاف لما تقدمه من خدمات اجتماعية بالإنفاق على الفقراء والمساكين والمحتاجين وغيرهم من الفئات الاجتماعية الفقيرة .

2. ساهمت الاوقاف في معالجة الفقر وتخفيفه عن الطبقات الاجتماعية المتدنية وتحسين مستواهم المعيشي وتوفير احتياجاتهم الاساسية .

3. حرص الامراء والخلفاء على اختيار رجال اكفاء للإشراف على الاوقاف فاختاروا لها رجال من اهل العلم والفقه .

4. كان القضاة في الاندلس هم المسؤولون عن تصريف اموال الاوقاف وهم من يوكلون عنهم لهذه المهمة ممن يجدونه اهلا لذلك .

5. لم يشترط في الوقف ان يكون ارضا او عقارا بل يستطيع الشخص ان يوقف اي شيء ولو كان يسيرا بحسب ما يستطيع الواقف وقفة .

6. كانت الاوقاف في الاندلس من مصادر دخل الفقراء والمحتاجين والايتام اذ خففت اعباء المعاش عنهم .

المصادر والمراجع

أولاً- المصادر

. القرآن الكريم

- البخاري، ابو عبدالله محمد بن اسماعيل، (ت: 256هـ/ 869م)

1. صحيح البخاري، تحقيق : مصطفى ديب البغا، ط5 ، 1993م، دار ابن كثير، دمشق .

- ابن حيان، حيان بن خلف القرطبي، (ت: 469هـ/ 1067م).

2. المقتبس من انباء الاندلس، تحقيق: محمود علي مكي، 1390هـ، المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية، القاهرة .

- الخشني، ابو عبدالله محمد بن الحارث، (ت: 361هـ/ 971م)

3. قضاة قرطبة، ط1، 1996م، دار الكتاب المصري، القاهرة.

- ابن سهل، ابو الاصبغ عيسى بن سهل، (ت: 486هـ/ 1073م).

4. وثائق في أحكام قضاة اهل الذمة في الاندلس، تحقيق: محمد عبدالوهاب خلاف، (د.ط)، 1983م، بيروت .

- ابن عبد البر، ابو عمر يوسف بن عبدالله، (ت: 463هـ/ 1070م)

5. الكافي في فقه أهل المدينة المالكي، ط3 ، 2002م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان .

- ابن عذاري، ابو عبدالله محمد بن محمد، (ت: 695هـ/ 1295م)

6. البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب، تحقيق: ليفي بروفنسال، ط2 ، 1980م، دار الثقافة، بيروت .

- ابن الفرضي، ابو الوليد عبدالله بن محمد،

(ت:403هـ/ 1012م).

7. تاريخ العلماء والرواة للعلم في الاندلس، تحقيق: عزت العطار، ط1، 1988م، مطبعة المدني، القاهرة.

- القاضي عياض، ابو الفضل عياض بن موسى اليحصبي، (ت:544هـ/ 1149م).

8. ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة اعلام مذهب مالك، ط1 ، 1998م، دار الكتب العلمية، بيروت .

- ابن قدامه، ابي محمد عبدالله بن احمد، (ت: 620هـ/ 1223م)

9. المقنع في فقه الامام احمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: محمود الارناؤوط، ط1 ، مكتبة الوادي، جدة .

- القلقشندي، ابو العباس احمد بن علي، (ت: 821هـ/ 1418م)

10. صبح الاعشى في صناعة الانشا، (د.ط)، الدار المصرية العامة، القاهرة .

- ابن منضور، محمد بن مكرم، (ت : 711هـ/ 1311م)

11. لسان العرب، ط3 ، 1414هـ، دار صادر، بيروت .

- الونشريني، ابو العباس احمد بن يحيى، (ت: 914هـ/ 1508م)

12. المعيار المعرب والجامع المعرب عن فتاوي اهل افريقية والمغرب، (د.ط)، 1981م، دار الغرب، بيروت .

ثانياً- المراجع

- البكر، خالد

1. النشاط الاقتصادي في الاندلس في عهد الامارة، ط1 ، 1993م، الرياض.

- القري، محمد بن علي

2. مقدمة في اصول الاقتصاد الاسلامي، ط3، 1999م، دار حافظ للنشر .

- ابو مصطفى، كمال السيد

3. بحوث في تاريخ وحضارة الاندلس، ط1، 1997م، مركز الاسكندرية للكتاب، القاهرة .